

الترجمة وتفاعل الثقافات

أ.باقي عبد القادر

- جامعة بشار

ملخص:

تهدف هذه الدراسة من جهة إلى إبراز عامل الترجمة في تفاعل الثقافات وكذا دور الحضارة العربية الإسلامية وإسهاماتها الجبارة في صناعة الحضارة الإنسانية . ومن جهة تسليط الضوء على إجراء الاقتراض الذي يعد مفتاحا من مفاتيح الترجمة المباشرة؛ ناهيك على انه ظاهرة صحيحة لا تقتصر على لسان الضاد فحسب بل جل الألسنة قاطبة.

Abstract :

On the one hand, this study aims to illustrate the factor of translation which plays an important part in the interaction of cultures. On the other hand, to show the role of the Islamic and the Arabic civilization and its gigantic contributions to the construction of the human civilization . Besides, to shed light on the borrowing procedure which is considered as a key of the direct translation. Meanwhile, the former which is a healthier phenomenon concerns not only the Arabic language, but all the languages as well.

مقدمة:

العلم مدينة والترجمة بابها ، ومادام العلم قائم على مبدأ التراكم، والأخذ والعطاء، والتأثير، والتأثر، ومادامت البشرية قاطبة، لا تتفق على لسان واحد، كان من الضرورة بمكان، بروز حركة الترجمة منذ مهد التاريخ. فالحضارة العربية الإسلامية التي شيد الغرب دعائم مدينته على أنقاضها، ونهل من منابعها من منافذ شتى، كمنفذ صقلية، والأندلس، والحروب الصليبية. لكن كل هذا يرجع فيه الفضل إلى عامل الترجمة.

فالغرب في القرون الوسطى، ترجم أمات الكتب العربية في مختلف فنون العلم، والمعرفة. مثل الطب، والفلك، والجبر، والهندسة، والمنطق، والفلسفة، والأدب ونقلها برمتها إلى رصيده المعرفي. فأوروبا في القرون الوسطى كانت تسبح في بحر من الظلمات حيث لم تكن تعرف الصفر الذي هو لا شيء لكنه قيمة قائمة بذاتها في علم الحساب، وحتى الأرقام المتداولة اليوم عند الغرب هي عربية خالصة.

إن الترجمة هي لا ريب قناة فعالة في عملية التواصل الحضاري والثقافي بين الأمم في مشارق الأرض ومغاربها. ومادام لكل لسان نظام تركيبى وصوتي دال يميزه عن باقي الألسنة الأخرى، ولاسيما تلك التي لا تنتمي إلى شجرة العائلة الواحدة مثل العربية التي هي من أرومة الألسنة السامية والإنجليزية التي هي من أصل الألسنة الجرمانية فلا غرو أن نجد ألفاظاً عربية طائفة قد هاجرت إلى اللسان الإنجليزي وأصبحت متداولة في الثقافة والأدب الإنجليزي، وحتى لسان الضاد نفسه رضع من ثدي الاقتراض وعرب ألفاظاً لا حصر لها مثل الفلفل، الكروياء، القرفة، النرجس الياسمين المسك، الترياق، البطاقة، الزنجبيل، الديباج، القصعة، العنبر، القسطاس وهلم جراً... (1)

مما لا ريب فيه أن الترجمة منذ فجر التاريخ، كان لها الدور الريادي في عملية التواصل والمثاقفة بين الأمم. ففي العصر العباسي على سبيل المثال، كان الأمراء يجزلون العطاء للمترجمين « كان المأمون يعطي لحنين بن اسحاق العبادي (254 هـ/ 873 أو 877م) من ذهب على كل كتاب يترجم، فقد كان يقابل زنته بالذهب مثلاً بمثل » (2). فالعرب عاشوا بين حضارتين عظيمتين، لكن سرعان ما انطفأت جذوتهما، بظهور الحضارة العربية الإسلامية، فاكتسحتهم كالسيل العرم. فرغم أن الثقافة الهيلينية كانت مفعمة بالوثنية والأساطير وتعدد الآلهة عندهم وكذا تخليد مآثر عظمائهم بالتماثيل إلا أن العرب والمسلمين أخذوا لب معارفهم، كالفلسفة والمنطق، والطب، والفلك، والكيمياء، ونقلوها إلى لغتهم، ونقحوا ما نقحوه، وصاغوها طبق ما يتماشى مع تعاليم عقيدتهم السمحاء.

² : ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد، عيون الأئباء في طبقات الأطباء، دار الفكر، لبنان ج/1، ب، ط، ب، ت، ص 203.

«وعدم شيوع ترجمة الشعر اليوناني - على اختلافه سواء علينا أكان بطولياً أو مسرحياً أم غنائياً - ترجع إلى أسباب جوهرية وهي أن هذا الشعر كان يعتمد على تراث وثني يتعارض تماماً والتوحيد الصارم، لهذا لم يكن في الإمكان ترجمته، فإذا ما ترجم منه شيء - مهما يكن قليلاً - فلا بد من تحويره ليتفق والروح التوحيدية»⁽¹⁾.

فالعرب آنذاك، كان مولعين بالعلم وتقفي آثار المعرفة أينما كانت سالكين في ذلك الحديث مغزى القول المأثور «الحكمة ضالة المؤمن»⁽²⁾ فكان سعيهم وراء المعرفة سعيًا حثيثاً ودأبهم متواصلاً لاكتساب ثقافة الآخر والتي لم تكن عندهم سلوك حضاري فحسب بل فريضة مثل فرائض التعبد. فأسلافنا قدسوا العلم والعقل وربطوهما بالعبادة لأن من تعاليم الدين الحنيف طلب العلم حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة »⁽³⁾، وأن أول ما نزل من القرآن الكريم ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾⁽⁴⁾.

والقرآن الكريم ثري بالآيات التي تدعو إلى طلب العلم والتعلم والتعليم والسعي وراءه حيث جاء في قوله تعالى: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾⁽⁵⁾.

¹ عباس، إحسان، ملامح يونانية في الأدب العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977، ص: 11.

² الميداني، النيسابوري، أبو الفضل أحمد، مجمع الأمثال، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، ج/1، د، ط، 1374 هـ، 1955 م، ص 214.

³ ابن الأثير، الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تح، أيمن، صالح، شعبان، دار الكتب العلمية، ج/8، ط1، بيروت، لبنان، 1418 هـ، 1998 م، ص 7.

⁴ سورة العلق، الآية رقم: 01.

⁵ سورة طه، الآية رقم: 114.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾⁽¹⁾.

وقوله تعالى أيضاً: ﴿...نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾⁽²⁾.

وكذلك قوله تعالى: ﴿يُوتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾⁽³⁾. وقوله تعالى: ﴿...يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾⁽⁴⁾. وفي قوله عز وجل: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽⁵⁾.

كما أن السنة النبوية الشريفة تحت على طلب العلم «أغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامسة فتهلك»⁽⁶⁾

«إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»⁽⁷⁾ رواه مسلم.

فبيت الحكمة ببغداد عاصمة الخلافة آنذاك، كانت تعج بأمامات الكتب في الفلسفة والفلك، والمنطق وكل هذه العلوم والمعارف لم تولد عند العرب بل نقلوها عن الأمم الأخرى وأضافوا إليها بعد الدرس والتمحيص حتى وصلت إلى الغرب زبدة خالصة، فالتهمها بشراة فقفزة قفزة مارد جبار، وأرسى دعائم حضارته، ونحن العرب تراجعنا القهقري، ففي عصر النهضة وإبان عهد محمد علي (1805م - 1849م) الذي كان حاكماً على مصر، أرسل بعثات إلى الغرب قصد الانتفاع ونقل التكنولوجيا المدنية والحربية.

¹ سورة الزمر، الآية رقم: 09.

² سورة البقرة، الآية رقم: 269.

³ سورة البقرة، الآية رقم: 269.

⁴ سورة المجادلة، من الآية رقم: 11.

⁵ سورة آل عمران، الآية رقم: 18.

⁶ ابن الأثير، الجزري، المصدر السابق.

⁷ ص7 النووي، أبو زكرياء يحيى بن شرف الدمشقي، رياض الصالحين، دار الفكر، لا ط، بيروت، لبنان، 1414هـ، 1994م، ص393

«راح محمد علي بعد ذلك يلتمس طريقة أخرى، فرأى أن ينقل نفراً من أهل البلد إلى أوروبا - موطن هذه العلوم والنظم ليدرسوا هذا الذي نقلوه هناك، وبلغه القوم، حتى إذا عادوا لمصر كانوا عدتها في المستقبل، وحلوا محل الأجانب في الوظائف المختلفة وفي تعليم ما درسوا لأبناء أمتهم، وفي ترجمة الكتب الغربية ولهذا أرسل محمد علي البعوث إلى أوروبا الواحدة بعد الأخرى، وعاد الكثيرون من أعضائها وقد أفادوا الفائدة الكبرى وحققوا أغراض محمد علي»⁽¹⁾.

وبعد سقوط الخلافة العثمانية، ذاقت الأمة العربية مرارة الاستعمار الأوربي بشقيه الإنجليزي والفرنسي، عُرِفَت في الذاكرة الجمعية الجزائرية - بسنين الجمر - حيث كانت عليه أشد حرقه من الرمضاء والنار. وبعد رحيل الاستعمار الفرنسي من بلادنا خلف من ورائه ألغاماً فكرية وثقافية أعتى ضراوة من خطي شال وموريس ومن شظاياها الفرنكوفونية والفرنوكفيلية. «...أن (الفرنوكوفيلي) كما تدل على حقيقته المعاجم الفرنسية المعاصرة، هو كل متفان في حب فرنسا، معجب بتقاليد العيش لدى أهلها. ذلك بأن هناك من الناس في المغرب العربي من قد يحب فرنسا وثقافتها وحضارتها وتقاليدها أكثر مما يحب وطنه ونفسه، حتى لا أقول: أكثر مما يحب الله! وهذا مرض ثقافي حضاري يجب أن يدان»⁽²⁾.

فأرى أن الفروكفيلية قد خلفت شرخاً في ثقافتنا وهويتنا الوطنية إذ هي أشد مضاضة على المثقفين النزهاء لأنها نكرة تستكر لكل ما هو عربي أصيل وتذوب في أحضان الثقافة الفرنسية قلباً وقالباً، وتعادي العروبة والإسلام، وتذهب في ذلك مذهب المستشرقين المتعصبين الذين يقصوا دور العرب والمسلمين في أشواط الحضارة الإنسانية القائمة على مبدأ التراكم والتداول مصداقاً لقوله تعالى: ﴿...وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ...﴾⁽³⁾ فالثقافات تتعايش مع بعضها البعض وتتلاقح عبر رياح الاقتراض والترجمة والنقل والنحت والاقتباس، فإذا كان الإنسان لا يستطيع البتة، العيش

¹ الشال، جمال الدين، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 1420هـ-2000م ص:08-09.

² د. مرتاض، عبد المالك، موقع اللغة والثقافة العربية في مواجهة الفرنكوفونية، مجلة العربي، الكويت، ع 515، س ط أكتوبر 2001م ص69.

³ سورة آل عمران، من الآية رقم: 140.

رهين وحبس حجرة مظلمة. فالأمر سيان بالنسبة للمجتمعات الإنسانية حيث هي الأخرى لا تطيق بتاتا مواكبة الحياة بمعزل عن الشعوب والأمم الأخرى، فلا بد لها أن تضمن قوت أبنائها عبر قنوات ومنافذ كالتجارة والقروض والمقايضة إذا اقتضى الحال.

فاللغة العبرية مثلاً: التي بعثت من رسمها وأصبح لها صدى مسموع في أنحاء المعمورة قاطبة ما كان لها ذلك كله إلا بفضل أبنائها الذين اقتحموا الغرب ونقلوا تكنولوجيته الرهيبة وامتلكوا السلاح النووي الفتاك.

«ويفسر السيد ياسين اهتمام المؤسسات البحثية الإسرائيلية بترجمة ودراسة الأدب العربي بمختلف عصوره، بدءاً من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، بأن أي أدب يرصد العملية الاجتماعية التي تصاحب التغير الاجتماعي وتلقي الأضواء عليها وعلى مساراتها المتعددة، بصورة أكثر بروزاً ووضوحاً وحيوية من كثير من البحوث العلمية، ومن

هنا يهتم الباحثون العلميون بتحليل مضمون هذه الأعمال الأدبية حتى يضعوا أيديهم على مفاتيح التغير الاجتماعي في المجتمع وآثاره»⁽¹⁾.

فالترجمة على مر العصور، كانت معينا لا ينضب حيث أتت أكلها في السراء والضراء، والحرب، والسلام. فمعرفة الهو تقتفي من خلال لغته لأنها سجل ذاكرته وديوان حياته الفكرية والثقافية والاجتماعية والنفسية ولما كانت العبارات الاصطلاحية جزء لا يتجزأ من اللغة، كان لا بد لها أن تتقاطع مع الحياة الإنسانية في هذه الجوانب لأنها تجري على السنة الحيوان ظاهراً وتتناول الحياة البشرية باطناً. وتلقي بظلالها الوارفة على الأبعاد المضمر والمسكوت عنها كالبعد السسيوتقافي، والحضاري والفكري وكذا البعد الترجمي الجمالي الفني.

«يتضح مما تقدم، أن الترجمة ضرورة إنسانية وقومية، وأداة هامة لنقل حصيلة العلوم والمعارف والآداب، علاوة على أنها عامل من عوامل النهضة. وليس أدلّ على أهمية الترجمة، من أنها أصبحت اليوم- في كثير من الدول المتقدمة- مهنة يقوم بها مترجمون متخصصون»⁽²⁾

¹ صالح حسين، محمد (أحمد)، لماذا تهتم إسرائيل بالأدب العربي، مجلة العربي، الكويت، ع 514، 1422هـ، سبتمبر 2001م، ص 17:16.

² مظفر الدين، أسعد حكيم، علم الترجمة النظري، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط/1، دمشق، سوريا 1989م ص 24.

وعلى هذا فإن لكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية عادات، وتقاليد، وثقافة، ولغة يعبر بها عما يختلج في لواعجه من خواطر، وأفكار، وما يحتاج من مآرب وأغراض.

وفي هذا الصدد يقول ابن جني (ت 395 هـ) في تعريف اللغة: «أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»⁽¹⁾ ولما كان الناس يتباينون فيما بينهم باللغات واللهجات، كان من الأهمية بمكان أن يتفاعلوا، ويندمجوا فيما بينهم عبر جسر الترجمة في شتى مواطن الحياة، حيث أن أي ازدهار لأي حركة علمية لابد وأن يواكبه ازدهار لحركة الترجمة والغرب نفسه حذا حذو العرب في هذا السلوك الحضاري، فتهافت على المخطوطات العربية بالنقل والتمحيص والترجمة واستفاد منها الكثير.

وقد نشاطر فراحي بوبكري بالجمع في رأيه حين يقول: «أعتقد أن الرجال الذين أسهموا في إذكاء مشعل النهضة العلمية في أوروبا، من أمثال غليلي ونيوتن وليبتز وديكارت، وغيرهم لم يكتفوا بالترجمة الحرفية لهذه المخطوطات فحسب بل فهموا معانيها وما ترمي إليه من مضامين كانت خافية حتى على أصحابها، فاستطاعوا أن يطوروها ويقدموها للعالم في ثوب جديد...»⁽²⁾

تقاطع الثقافات في أسلوب الاقتراض:

إن ازدهار حركة الترجمة في عصر المأمون، جاء بعد مخاض وإنشاء مدارس، نظمت سير عملية الترجمة، فكانت بيت الحكمة ببغداد، مركز إشعاع فكري، ومطية للعبور إلى ثقافة الآخر، ونقل لب ما وصلت إليه الأمم السالفة التي تداولت على صولجان الحضارة، كالفرس، والهنود، والإغريق، والرومان.

«كان أول رئيس لبيت الحكمة وأول مؤسس لها طبيب المأمون الخاص النسطوري اشعيا بن مسواح (Shaia Ben Maswah) أحد العارفين الكبار بتاريخ الطب اليوناني وكان تلميذه الأول وخليفته من بعده هو حنين بن إسحاق (808م-873م) الذي عُرف في المصادر اللاتينية Hunainus أو Johannituis وبالإضافة إلى كونه مترجماً بارزاً كان إلى

¹ ابن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، ج 1، ب، ط ب، ت، ص 22.

² بوبكري، فراحي، الترجمة، التعريب والمصطلح، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ص: 32.

جانب ذلك مؤلفاً العديد من الكتب في علم العربية وعلم النحو، كما كان مبرزاً في ميدان الطب فألف فيه كتاباً في أمراض العيون»⁽¹⁾.

« وكان لهم في الترجمة طريقتان، أحدهما طريقة يوحنا بن البطريق وابن ناعمة الحمصي وغيرهما حيث كانا يعمدان إلى الكلمة اليونانية فيأتیان بكلمة تقابلها في المعنى أما الطريقة الثانية وهي طريقة حنين ابن إسحاق والجوهري فيأتيا على الجملة فيتترسخ معناها في أذهانهم ثم يأتيا على جملة تطابقها سواء ساوتها في الألفاظ أم خالفتها وهذه الطريقة أحسن في نظري لأنها تحافظ على الجوهر أي المعنى. »⁽²⁾

وفي هذا الصدد يقول جورج مونان عندما يطرح السؤال الآتي: ما الذي يجعل من الترجمة عملية صعبة ؟

فيجيب «في الواقع ليست اللغات، عبارة عن قائمة من كلمات تطابق الوقائع نفسها دائماً والمعطيات المسبقة. وتكون الترجمة سهلة لو كانت في الحالة الخاصة دائماً بالقدرة على الترجمة الحرفية...»⁽³⁾

ولم تنق بيت الحكمة، فريدة زمانها آنذاك بل تلتها مدارس أخرى، كمدرسة حران بشمال العراق ومدرسة جندسابور ومدرسة الإسكندرية وكذا مدرسة طليطلة، حيث كان لهذه المدارس، شأنٌ عظيم، فتبعوا المكانة الرفيعة في عملية الثقافة والتواصل بين الشعوب.

«ومقابل بيت الحكمة المعمور في بغداد المعروف بشهرته العالمية نهضت مدرسة ثانية للترجمة بحران بقيادة عالم جليل آخر هو ثابت بن قرة الذي عاش ما بين 836م و 901م وكان جملة العلماء الملتفين حول هذا العالم انصبت معظم اهتماماتهم على ميدان علم الفلك والرياضيات حتى كادت مدرسة حران للترجمة تتخصص في مثل هذه المعارف بحيث تمت بهذه المدرسة ترجمة كتاب الماجسطي لبطليوس الاسكندري والذي بفضل الترجمة العربية استطاع أن يصل إلى ثقافات العالم لأن أصله لم يعد له وجود».⁽⁴⁾

¹ د. حمادي، عبد الله، مساءلات في الفكر والأدب، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994، ص:335.

² ينظر : كاميل، هشام، الترجمة بالنصوص، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2002، ص:61.

³ مونان، جورج، اللسانيات والترجمة، ترجمة بن رزوق، حسين، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2000 م، ص:54.

⁴ د. حمادي، عبد الله، مساءلات في الفكر والأدب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص:336.

ومن أهم المدارس أيضاً التي ساعدت على ذبوع صيت الثقافة اليونانية وساهمت في توسيع آفاق العقلية العربية، مدرسة جند يسابور « فجدد يسابور مدينة في خوزستان أسسها سابور الأول وإليه تنتسب، واتخذها موطناً لأسرى الروم، ولعل هذا من الأسباب التي جعلتها فيما بعد منبعاً للثقافة اليونانية، وأسس فيها كسرى أنوشروان مدرسة الطب المشهورة، وكانت تعلم فيها العلوم اليونانية باللغة الآرامية، وقد فتحها المسلمون فيما فتحوا من بلاد الفرس وظلت المدرسة قائمة إلى العصر العباسي» (1)

ومن بين المدارس التي ساهمت في انصهار الفكر والثقافات الأخرى في بوتقة الثقافة العربية الإسلامية، مدرسة الإسكندرية « وقد اتصل المسلمون بمدرسة الإسكندرية في العهد الأموي . فنرى أن خالد ابن يزيد بن معاوية يترجم له بعض الكتب " اصطفن " ويلقبه القفطي " اصطفن الإسكندراني " (2) .

ولا يختلف اثنان أن الثقافات الإنسانية، تتفاعل وتتعايش فيما بينها في شتى النواحي الإيديولوجية، واللغوية، والعلمية. وفي رأينا إن الاقتراض هو بمثابة الفيتامين الروحي لكل اللغات دون استثناء، لكي تحيا ويزهر عودها. فاللغة العربية التي حباها الله بالقرآن الكريم وكتب لها بذلك الحياة الأبدية، أبد الأبدين، عرفت هي الأخرى، قديماً من معين اللغات المتاخمة لشعورها آنذاك، ومازالت في التو والحين تقفات من اللغات العالمية وهذا ليس عيباً بل عامل صحي اقتضته، ضرورة الزخم الحضاري والتمازج والحوار بين الثقافات، فديننا الحنيف يدعونا إلى الحوار والتعارف بين الشعوب والأمم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (3) فالإنسان خلقه الله تعالى وكرمه على سائر المخلوقات وميزه بالعقل واللسان قال تعالى: ﴿ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَأَنِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (4)

¹ أمين، أحمد، ضحى الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 268/1.

² (م، ن)، 1/ص: 262.

³ سورة الحجرات، الآية رقم: 13.

⁴ سورة الروم، الآية رقم: 22.

فاختلاف ألوان البشر وألسنتهم آية لأولي النهى لكي يتدبروا في ملكوت الله عز وجل ويهتدوا إلى جادة الصواب ويزدادوا إيماناً. فاللغات الحية لا بد لها أن تمر عبر قنوات الاقتراض، شاعت أم أبت، حتى تحافظ على مسيرة بقائها. ففوة الأمم تصاحبها سطوة على الصعيد اللغوي، الفكري، والعلمي. فلما كانت دوحة الإسلام دائية بقطوفها على العالم، وبأسطة أجنحتها البيضاء على ربوعه، كانت العربية في أوج عطائها حيث كان يتعبد بها في المساجد ويدرس بها العلم في جامعات أوروبا.

هذا ما يؤكد أحمد عروة في قوله: «...حين ازدهرت الحضارة الإسلامية في إمبراطورية شاسعة تمتد من أسبانيا إلى اندونيسيا، ومن القوقاز إلى دار السلام، صارت اللغة العربية اللغة العالمية، لغة الدين، ولغة الآداب والفنون، ولغة الدبلوماسية والعلم، لا في العالم الإسلامي فقط، ولكن في البلاد الغربية، التي أصبحت العربية عندها الأداة الضرورية للتعرف إلى الثقافة، وأهمية الكلمات في المعجم العلمي شاهد لا يمكن إغفاله ولكنه لا يكشف سعة التيار الثقافي كله الذي أخصب العصر الوسيط المسيحي»⁽¹⁾.
مما لا شك أن قوة أي أمة من الأمم، سياسياً، وعسكرياً، واقتصادياً، واجتماعياً تواكبها لا محالة قوة علمية. ونحن لا ننكر فضل الأمم التي سبقتنا في مضمار الحضارة في ثراء لغتنا شكلاً ومضموناً. «وبفضل حركة الترجمة هذه عرفت اللغة العربية قفزة نوعية في ميدان ثرائها وغنائها بالعديد من المصطلحات التي عمد المترجمون إلى ابتكارها مرة أو نحتها واشتقاقها

أو تعريبها حسب النطق العربي الملائم لمخارجها الصوتية وبهذا الثراء النوعي فصح المجال أمام اللغة العربية لاستيعاب معارف أخرى»⁽²⁾.
فأسلافنا، كانوا يسمون الاقتراض (Borrowing) بالمعرب والدخيل، أي الكلمات التي وفدت إلى لغتهم دخيلة عربوها. وكما قال ابن جني (ت 395هـ) «ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب»⁽³⁾

¹ عروة، أحمد، نقله عن الفرنسية، أمين، عثمان، الإسلام في مفترق الطرق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص: 105.

² حمادي، عبد الله، مساومات في الفكر والأدب، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1994، ص: 336.

³ ابن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، ج/ 2، ب، ط، ص: 25.

«والقرآن الكريم الذي هو حجة اللغة العربية يزخر بمثل هذه الكلمات، مثلاً: كلمة السراط لاتينية وأصلها: "stratta" وكلمة "سندس" فارسية وكذلك "سجيل" (طين وحجارة) و"مشكاة" و"اليم" و"أباريق" و"إستبرق" (غليظ الديباج) وكلمة "لغة" يونانية وأصلها (Logos) والأمثلة كثيرة»⁽¹⁾ وعلى سبيل الذكر، أحصى أبو منصور الثعالبي (ت 430 هـ) في كتابه فقه اللغة وسر العربية ألفاظاً عدة «وأسماء تفردت بها الفرس عمدت العرب إلى تعريبها أو تركتها على حالها ومنها: الإبريق، الطست، الطبق، القصعة الخز، الديباج، السندس، الياقوت، البلور، السميد، الفلفل، الكروياء، القرقة، النرجس البنفسج، النسرين، السوسن، الياسمين، المسك، العنبر، الكافور، القرنفل»⁽²⁾.

أما ما أخذه العرب عن الرومية «الفردوس، القسطاس، السجندل، البطاقة، البطريق، القنطار، القنطرة»⁽³⁾ إذ امتزجت هذه الأسماء والألفاظ في مدونتنا العربية الأصيلة وأصبحت تجري على الألسن في كل آن ومكان وهي موسومة في بطون المعاجم والمجلدات، وتزيد من ثراء قاموسنا اللغوي، وهذا الإجراء ليس قاصراً على اللغة العربية فحسب بل تتصوي تحت لوائه جميع اللغات لأنه أمر لا بد منه. وما دام العلم، ملكاً مشاعاً بين البشرية قاطبة حيث كانت تغدو فيه اللغة أداة للتواصل ووسيلة لتدوين هذا الركام من العلوم والمعارف. فاللغات الهندوأوروبية والجرمانية، اقترضت ألفاظاً لا حصر لها من اللاتينية والإغريقية والعربية والعبرية، لأن اللغات في حقيقة الأمر هي الواجهة الأخرى للحضارات وهذه الأخيرة قائمة على مبدأ التراكم والتداول «وقد أطلق مصطلح الحضارة على نتاج الإنسان وإنجازه ونظمه وما يحيا به وما يحتاجه لشؤونه، وهي أمور شاركت فيها أمم وأجناس خلال التاريخ حيثما تقيم»⁽⁴⁾.

«أما مصطلح الحضارة عند العلامة ابن خلدون (ت-808 هـ) هو بمفهوم العمران البشري وقد وسمه في مقدمته المشهورة «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان

¹ بيوض، إنعام، الترجمة الأدبية، مشاكل وحلول، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 2003، ص: 67-68.

² الثعالبي، أبو منصور، فقه اللغة، تح، الطباع عمر، دار الأرقم، ط/1، بيروت، لبنان، 420هـ، 1999م، ص: 281-282.

³ (م، ن)، ص: 283.

⁴ الحجي، عبد الرحمن، علي، على أضواء الحضارة والتراث، شركة الشهاب، الجزائر، ص: 68.

«الأكبر»⁽¹⁾ وقد تناول فيه ابن خلدون العلوم الإنسانية ونشاطات الإنسان وكان بذلك قد كسب قصب السبق بقرون عدة ممن خاض في هذا الميدان من علماء الغرب الذين اعتبروا أنفسهم رواداً لهذه الدراسات أمثال الفرنسيين: أوغست كونت (August Conte 1798-1857) و أميل دوركايم (Emile Durkheim 1857-1917)⁽²⁾. وإبان الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م، احتك الشرق بالغرب، وجاء نفر من العلماء والباحثين مع الأسطول الفرنسي قصد اكتشاف كنوز الفراعنة المغمورة في دهاeliz قبورهم.

وأثناء هذه الحقبة بالذات، كانت مصر تحت رحمة المماليك والدولة العثمانية التي ملكت زمام الأمة العربية رداً من الزمن، حتى وهنت وأصبح يشار إليها بالبنان - الرجل المريض - بيد أن مصر في هذه الفترة، بدأ بصيص النهضة يدب في أعماقها حيث طفقت تنهض رويداً، رويداً بقيادة محمد علي (1805م-1849م)، حاكمها آنذاك. فعمل ما في وسعه على نهضة مصر فقام بإرسال البعثات إلى أوروبا، وإنشاء المدارس العلمية. «وأما مدرسة الألسن فقد أنشأها محمد علي لتخريج المترجمين حين اشتدت الحاجة إليهم في ترجمة الدروس إلى الطلاب ونقل الكتب الطبية والعسكرية إلى العربية، وجعل إدارتها إلى المرحوم رفاعة بك الطهطاوي (1801م-1873م) حتى إذا خرّجت طائفة من أفاضل المترجمين تألف منهم قلم الترجمة سنة 1842م برئاسة رفاعة بك اضطلع بترجمة كثير من الكتب الأجنبية في مختلف العلوم الحديثة»⁽³⁾.

وفي الألفية الجديدة التي تعد عصر الترجمة بلا منازع، أضحى الاقتراض (The Borrowing) إجراء من إجراءات الترجمة وعلى غرار المحاكاة (The calque) التي تبدو لي بأنها الوجه الآخر للاقتراض ولكن على مستوى الأسلوب، فعلى سبيل المثال حينما يقول الإنجليزي: "He cried with hot tears" حيث يمكن ترجمتها كالاتي: "بكى بدموع حرّى" أما في قوله: "He asked her hand" نقول نحن: "طلب يدها" وحينما

¹ ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 1413هـ، 1993م، ص6.

² ينظر: الحجي، عبد الرحمن، المرجع السابق، ص:69.

³ الزيات، أحمد، حسن، تاريخ الأدب العربي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دت، ص 188.

يقول الإنجليزي: "He plays with fire" يمكن ترجمتها: "يلعب بالنار"
وحيث يقول كذلك:

فنترجمها كالاتي: "He represented the public opinion"
"مثل الرأي العام".

وهناك نماذج عدة وردت على هذا المنوال في الصحافة الغربية
بالفرنسية، وعلى سبيل المثال:

«أعطى صوته : Il a donné sa voix»

Il gagne à la sueur de son front : يكسب بعرق جبينه

Les rapports sont tendus : توترت العلاقات

Il a répondu à la lettre : أجاب حرفياً

Il a mis les points sur les I : وضع النقاط على الحروف

Les milieux dignes de foi : الأوساط الجديرة بالثقة

Il a concentrés sa recherche : ركز البحث في نقاط معينة:
«sur certains points»⁽¹⁾.

وهناك نماذج أخرى وردت على هذا المنوال بالإنجليزية وأدرجت في
بطون القواميس الثنائية على سبيل المثال:

«The overwhelming majority : الأغلبية الساحقة»

« Good-neighbour policy : سياسة حسن الجوار»

« Tear gas : غاز مسيل للدموع»

To open an account with a : فتح حساباً في مصرف

«bank»

« On an equal footing : على قدم المساواة»

« Before it is too late : قبل فوات الأوان»

« With the naked eye : بالعين المجردة»

« Cease-fire : وقف إطلاق النار»⁽²⁾.

¹ بشير، عبد العالي، أثر لغة الصحافة الغربية في نماء وتوسيع اللغة العربية، مجلة المترجم، العدد 06 أكتوبر/ديسمبر/2002، ص: 140، 141.

² لامي، ثمار، Twins، القاموس المزدوج (عربي، انجليزي، انجليزي، عربي)، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ب، ت، ص 61.

فالافتراض ينضوي تحت لواء الترجمة المباشرة وقد عده محمد الديداي مفتاحاً من مفاتيحها. «ونعته بالاعتباس ويرى بأنه أبسط طرائق الترجمة لأنه يسد ثغرة مفاهيمية لا عهد بها للغة المترجم إليها، وهو يضيف نكهة محلية على الكلام بإيراد مفردات وعبارات غير مألوفة تظل على أصلها كتلك التي ترد عن العادات والتقاليد وقد ساهمت موجة العولمة العارمة على عدم تباعد ثقافات العالم وأصبحت في شرفة تطل منها الشعوب على بعضها البعض. ومن أكثر حالات الاعتباس العبارات الاصطلاحية المستجدة (Neologism) والتي تكون في الوهلة الأولى، مستعصية على الترجمة والنقل لكن سرعان ما، تتكيف مع مخارج النطق العربي رويداً، رويداً»⁽¹⁾ وأخيراً وليس آخراً، لعل حسن ظاها أنه يصيب عندما يقول:

« ووجود الدخيل في لغتنا العربية هو صورة لظاهرة عامة في كل اللغات، فهي جميعاً تستورد الدخيل بحسب حاجاتها، ويتسرب إليها أيضاً رغم أنفها. إذ لا يكاد يعقل أن تتم عملية تبادل حضاري غير مشفوعة بتبادل لغوي في الوقت ذاته»⁽²⁾

خاتمة :

لا يختلف اثنان أن الترجمة في شتى العصور كان لها الدور الريادي في تفاعل الثقافات و الانفتاح على الآخر بل زاد الاهتمام بها في وقتنا الراهن حتى أصبحت غاية لا بد منها ونظراً للزخم المعرفي الهائل وكذا حاجة الناس للتفاهم والتواصل إذ أضحت إجراء الافتراض هو الآخر عاملاً تتقاطع فيه جل الثقافات شاعت أم أبت وقد سبرنا أغوار الثقافة العربية الإسلامية التي عربت ألفاظا

لا حصر لها قديماً وحديثاً ناهيك أن الافتراض ليس قاصراً على لسان الضاد فحسب بل يعد إجراء من إجراءات الترجمة المباشرة وكذا ظاهرة صحية تشمل جل الألسنة قاطبة .

المصادر و المراجع:

*القرآن الكريم:

¹ ينظر، الديداي، محمد، الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص 84.

² ظاها، حسن، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1981، ص:57.

- (1): ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الفكر، لبنان ج/1، ب، ط، ب، ت، ص 203.
- (2): عباس، إحسان، ملامح يونانية في الأدب العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977، ص: 11.
- (3): الميداني، النيسابوري، أبو الفضل أحمد، مجمع الأمثال، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، ج/1، د، ط، 1374 هـ، 1955 م، ص 214.
- (4): ابن الأثير، الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تح، أيمن، صالح، شعبان، دار الكتب العلمية، ج/8، ط1، بيروت، لبنان، 1418 هـ، 1998 م، ص 7.
- (5): سورة العلق، الآية رقم: 01.
- (6): سورة طه، الآية رقم: 114.
- (7): سورة الزمر، الآية رقم: 09.
- (8): سورة يوسف، من الآية رقم: 76.
- (9): سورة البقرة، الآية رقم: 269.
- (10): سورة المجادلة، من الآية رقم: 11.
- (11): سورة آل عمران، الآية رقم: 18.
- (12): ابن الأثير، الجزري، المصدر السابق، ص7.
- (13): النووي، أبو زكرياء يحيى بن شرف الدمشقي، رياض الصالحين، دار الفكر، لا ط، بيروت، لبنان، 1414 هـ، 1994 م، ص 393.
- (14): الشال، جمال الدين، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 1420 هـ-2000 م ص: 08-09.
- (15): د. مرتاض، عبد المالك، موقع اللغة والثقافة العربية في مواجهة الفرنكوفونية، مجلة العربي، الكويت، ع 515، س ط أكتوبر 2001 م ص 69.
- (16): سورة آل عمران، من الآية رقم: 140.

- (17) : صالح حسين، محمد (أحمد)، لماذا تهتم إسرائيل بالأدب العربي، مجلة العربي، الكويت، ع 514، 1422هـ، سبتمبر 2001م، ص 16، 17.
- (18) : مظفر الدين، أسعد حكيم، علم الترجمة النظري، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط/1، دمشق، سوريا 1989م ص24..
- (19) : ابن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، ج 1، ب، ط، ب، ت، ص22.
- (20) : بوبكري، فراحي، الترجمة، التعريب والمصطلح، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ص:32.
- (21) : د. حمادي، عبد الله، مساءلات في الفكر والأدب، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994، ص:335.
- (22) : ينظر : كاميل، هشام، الترجمة بالنصوص، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2002، ص:61.
- (23) : موان، جورج، اللسانيات والترجمة، ترجمة بن رزوق، حسين، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2000 م، ص54.
- (24) : د. حمادي، عبد الله، مساءلات في الفكر والأدب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص:336.
- (25) : أمين، أحمد، ضحى الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 268/1.
- (26) : (م، ن)، 1/ص:262.
- (27) : سورة الحجرات، الآية رقم:13.
- (28) : سورة الروم، الآية رقم:22.
- (29) : عروة، أحمد، نقله عن الفرنسية، أمين، عثمان، الإسلام في مفترق الطرق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص:105.
- (30) : حمادي، عبد الله، مساءلات في الفكر والأدب، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1994، ص:336.
- (31) : ابن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، ج / 2، ب، ت، ب، ط، ص25.

- (32) : بيوض، إنعام، الترجمة الأدبية، مشاكل وحلول، دار
الفرابي، بيروت، لبنان، 2003، ص: 67-68.
- (33) : الثعالبي، أبو منصور، فقه اللغة، تح، الطباع عمر، دار
الأرقم، ط/1، بيروت، لبنان، 1420هـ، 1999م، ص: 281-282.
- (34) : (م، ن)، ص: 283.
- (35) : الحجي، عبد الرحمن، علي، على أضواء الحضارة
والتراث، شركة الشهاب، الجزائر، ص: 68.
- (36) : ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، ط/1، بيروت
لبنان، 1413هـ، 1993م، ص: 6.
- (37) : ينظر: الحجي، عبد الرحمن، المرجع السابق، ص: 69.
- (38) : الزيات، أحمد، حسن، تاريخ الأدب العربي، دار الثقافة،
بيروت، لبنان، دت، ص 188.
- (39) : بشير، عبد العالي، أثر لغة الصحافة الغربية في نماء
وتوسيع اللغة العربية، مجلة المترجم، العدد 06 أكتوبر/ديسمبر/2002، ص:
140، 141.
- (40) : لامي، ثمار، Twins، القاموس المزدوج (عربي، انجليزي،
انجليزي، عربي)، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ب، ت، ص 61.
- (41) : ينظر، الديداي، محمد، الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية
واللغة الحاسوبية، المركز الثقافي العربي، ط/1، الدار البيضاء، المغرب،
2002، ص 84.
- (42) : ظاظا، حسن، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، الأهلية
للنشر والتوزيع، بيروت، 1981، ص: 57.